

صيد الحيوانات المفترسة من خلال

الفسيفساء بشمال أفريقيا

The hunting of wild animals through
the mosaics in north Africa

أ. سليم سعيدي

قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945 قالمة

البريد الإلكتروني: djamaa@live.com

تاريخ القبول: 2019/05/27

تاريخ الإرسال: 2018/05/01

ملخص:

مارس سكان المغرب القديم نشاط الصيد منذ عصور ما قبل التاريخ لعدة أسباب: منها تأمين قوته من اللحم والدفاع عن النفس من أخطارها وحماية حقوله من عبثا بمحاصيله ، ومع مرور الزمن أصبح صيد الحيوانات المفترسة هواية وتسلية يمارسها الأمراء والأثرياء، وخلال الاحتلال الروماني صار صيد بعض الحيوانات كالأسود نشاطا منظما وحكرا على الأباطرة لقتلها أو لتزويد الملاعب المدرجة المحلية أو الرومانية، وهذا ما تؤكدته مشاهد الفسيفساء المنتشرة في المنطقة (فسيفساء كويكول، بونة، قرطاج...)، والتي يمكن من خلالها أن نستطيع أن نستنتج عدة معطيات منها أنواع الصيد (رجالا أو ركباناً) والأسلحة المستعملة.

الكلمات المفتاحية: الصيد؛ الحيوانات المفترسة؛ الفسيفساء؛ الملاعب

المدرجة؛ شمال أفريقيا.

Summary :

The old Maghreb citizens practiced hunting action since prehistoric ages for many reasons, for example, insuring their power of meat, defending themselves from their dangers and protecting fields from their damage of their crops. However,

with the passage of the time, hunting the wild animals became hobby and entertainment was practiced by princes and riches. During Romanian occupation, hunting some animals like lions became an organized practice and it was monopolized by emperors to kill them or to provide circus and local stadiums. This later has been proved by scattered mosaics sights in the region (mosaics of Cuicul, Bône, Carthage ...) through which we can deduce many data such as, kinds of hunt (footmen or passengers) and weapons used by.

Key words: hunting, wild animals, the mosaic, north Africa, Amphitheatre.

المرسل : سليم سعيدي djamaa@live.com

مقدمة:

تُعدّ مشاهد الفسيفساء من أهم المصادر المادية التي تساعد الباحثين على معرفة مختلف مناحي الحياة اليومية للمغاربة القدامى منذ أن ظهر هذا الفن في منطقة المغرب القديم أي منذ القرن الثاني للميلاد بفضل الرومان وكذلك بعض الأفارقة أنفسهم الذين أبدعوا فيها وساهموا في تطورها، ومن هنا كانت الفسيفساء مرآة عاكسة للمجتمع وحاول الفنانون من خلالها التعبير عن بعض مظاهر الحياة الريفية كصيد الحيوانات المفترسة التي تعجّ بها المنطقة، وكذلك استلهم بعض الصور والأفكار الأسطورية من الثقافة الهلنستية، ومن هنا سنحاول في هذا المقال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما الأسباب التي دفعت المغاربة القدامى إلى ممارسة صيد الحيوانات؟ وما هي أهم الحيوانات المفترسة التي عاشت في المنطقة؟ وما هي أهم الوسائل والحيل التي لجأ إليها السكان في صيد هذه الحيوانات؟ وما هي أهم لوحات الفسيفساء الإفريقية المعبّرة عن ذلك؟

دوافع الصيد:

لا شك أن ممارسة الصيد بأنواعه يعتبر أقدم النشاطات التي قام بها الإنسان منذ ظهوره على الأرض، وإن كان الدافع الأساسي من وراء ذلك هو الحصول على الغذاء خصوصا خلال العصر الحجري القديم الذي لم يتوصل فيه الإنسان بعد لممارسة الزراعة، فهناك دوافع أخرى جاءت بعد الاستقرار منها حماية نفسه من الحيوانات المفترسة ومن الحيوانات التي تدمر حقوله وبساتينه خلال العصر الحجري الحديث والفترة القديمة، لاسيما وأن منطقة شمال أفريقيا كانت حسب المصادر الكلاسيكية¹ - وحتى خلال بدايات العصر الحديث² - تعجّ بالحيوانات المفترسة من أسود وفهود ودببة وضباع...

وقد ساهم في هذا التنوع والكثرة عدة عوامل منها: الظروف الطبيعية من تباين في التضاريس والمناخ وشساعة مساحتها، وقد كانت قبل الاحتلال الروماني كثيرة في بعض المناطق إلى حد أنها كانت تمنع الناس من أن يعيشوا بها ويشغلوا فيها بأمان³، إذ شكّلت هذه الضواري خطرا على السكان⁴، لدرجة أن جعل ساليست منها أحد أسباب موت الإنسان في منطقة شمال أفريقيا قديما فضلا عن السلاح والشيخوخة⁵، كما كانت تهاجم الماشية على وجه الخصوص، وجعلت من تربيتها في بعض الجهات أمرا مستحيلا، ولهذا دأبوا على صيدها للتخلص منها ومن أخطارها⁶.

وثمة وظيفة أخرى زادت أهميتها مع مرور الزمن وتمثلت في ممارسة الصيد كرياضة وتسلية، ووسيلة لإبراز الرجولة والشجاعة وإثباتها للآخرين⁷، وعلى الرغم من خطورتها، فقد وجد المغاربة القدماء سواء من قبل الأمراء والملوك أو عامة الشعب، متعة في ممارسة صيد تلك الضواري في الهواء

الطلق بالجرأة والحيل الخادعة، فقد خصّص مثلاً يوغرطة (118-105 ق.م) وقتاً كثيراً للصيد وكان دائماً الأول من رفاقه الذين يقتلون الأسود وغيرها من الحيوانات المتوحشة الأخرى⁸، كما كان الأثرياء خلال العصر الروماني يمارسون رياضة الصيد والقنص بشغف سواء في الغابات أو داخل الملاعب المدرجة حيث يقضي صاحب الضيعة وقته في ملاحقة الضواري وقتالها وهذا ما تمثله مجموعة ثرية من لوحات الفسيفساء⁹.

تجارة الحيوانات المفترسة:

من المعروف أن منطقة شمال إفريقيا قديماً كانت أهم منطقة تصدر الحيوانات المفترسة للرومان لاسيما بعد سنة 170 ق.م وهي السنة التي ألغى فيها ذلك القانون الذي منع بموجبه مجلس الشيوخ الروماني استيراد الحيوانات الوحشية إلى روما من طرف نقيب العامة أوفيدوس Aufidius، وبدء من هذا التاريخ ازدهرت تجارة الحيوانات خصوصاً المفترسة منها نحوها من أجل تزويد ألعاب السيرك وتزويد حدائق الحيوانات التي كان يمتلكها الأباطرة والأثرياء، وهذا لثراها بمثل تلك الحيوانات من جهة وقربها الجغرافي من جهة أخرى، ويبدو من خلال المصادر الكلاسيكية أن أول تصدير للحيوانات المفترسة من نوميديا كان سنة 169 ق.م وتمثّل في شحنة تتكون من 63 فهدا و40 دبا و40 فيلا، ومنح الإيديل دوميتيوس هانوباريوس لسيرك ماكسيموس في أحد العروض الشعبية في سنة 58 ق.م مئة دب من نوميديا رفقة صيادين أفريقيين¹⁰.

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في ازدهار تجارة الحيوانات المفترسة المستوردة من المغرب القديم هي العلاقات الممتازة والتحالفات التي أبرمت بين القادة الرومان والملوك النوميديين والموريين، كتلك الصداقة التي جمعت بين القائد الروماني سولا (138-68 ق.م) وبوخوس الأول (110-50 ق.م) ملك موريطانيا بعد تحالفهما ضد يوغرطة (118-104 ق.م)، حيث

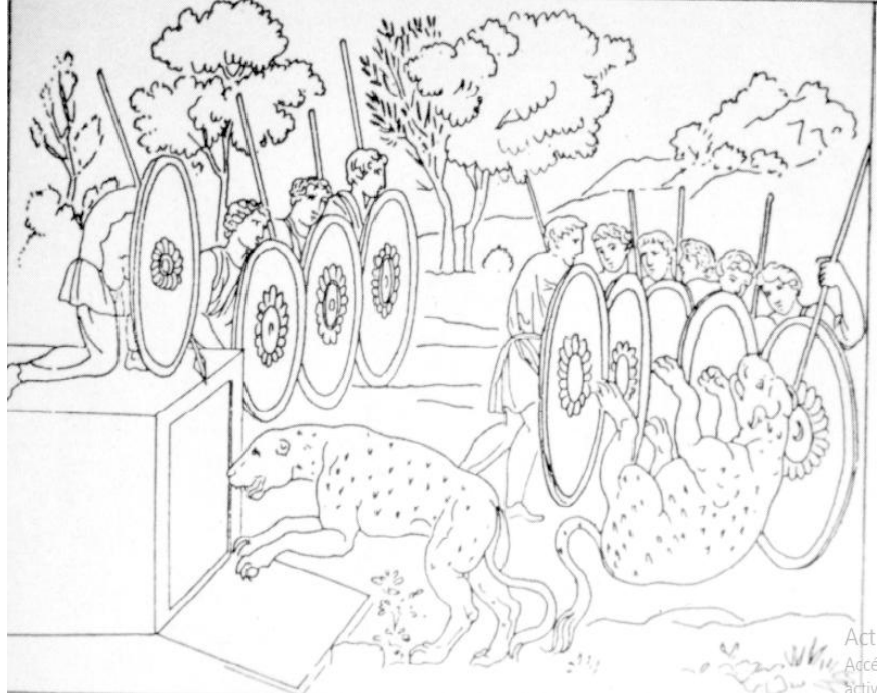
زوّده بمائة أسد، وفي عرض آخر سنة 45 ق.م جلب من منطقة شمال أفريقيا القديمة 400 أسد وعُرضت في الحلبة ضد 500 جندي من المشاة، أما بومبي فقد قدّم في عرض شعبي سنة 55 ق.م بمناسبة انتخابه قنصلا للمرة الثانية 410 فهذا و600 أسد¹¹.

ومما يدل على اهتمام وولع هذا الأخير بهذه الألعاب أن سافر شخصيا إلى منطقة المغرب القديم وربط علاقات مع وكلاء نقل الحيوانات الإفريقية¹²، ومن جهته عقد يوليوس قيصر (101-44 ق.م) تحالفا مع الملك بوخوس الثاني (49-33 ق.م) والملك بوغود (49-38 ق.م) خلال حربه ضد البومبيين وحليفهم الملك يوبا الأول (60-46 ق.م)، وقد زوّده بـ 400 أسد للاحتفال بمناسبة انتصاره سنة 46 ق.م، ومن الممكن يمكن أن يكون بعض من تلك الأسود قد دفعها له أعداؤه المهزومون كضريبة فرضت عليهم¹³.

وتجدر الإشارة هنا أن صيد الحيوانات الضارية خلال الاحتلال الروماني كان نشاطا منظما، فبالنسبة لصيد الأسود مثلا كان احتكارا للأباطرة الرومان، الذين كانوا يكلفون الجيش بصيدها ونقلها لروما لتزويد ألعاب المسارح المدرجة، وبلغ بهم الشغف أن توجهوا بحملاتهم إلى عبور الصحراء للعودة بالحيوانات الغريبة والتوغل جنوب خط الليمس بمائة كلم كما تشير إلى ذلك بعض النقوش التي عثر عليها بمنطقة الأطلس الصحراوي وتحفظ لنا بذكرى حملات البحث عن الحيوانات المفترسة وصيدها، منها نقش عثر عليه قرب مدينة البيض¹⁴، وكذلك نقش أقناب Agueneb بجبل عمور سنة 174م¹⁵.

ويؤكد مرسوم الإمبراطور كاركلا (211-217 م) المنقوش على لوحة برونزية والموجّه لسكان بانازا بموريطانيا الطنجية مدى اهتمام الأباطرة الرومان بصفة شخصية بجلب الحيوانات المفترسة وخصوصا الأسود منها

من منطقة المغرب القديم، وقد سمّاها في مرسومه "بالحيوانات السماوية" (انظر التعليق 3)، إذ طلب منهم تقديمها للرومان مقابل إعفائهم من دفع الضرائب المتأخرة عليهم¹⁶. ومن جهة أخرى تبرز لنا فسيفساء بونة وفسيفساء بيازا أرمرينا بصقلية واللّتان تعودان للقرن الرابع ميلادي صيد الحيوانات الوحشية كالأسود والفهود والنمور (انظر التعليق 4) والخنازير والفيلة والنعام... ونقلها وهي حية داخل أقفاص تختلف حسب حجم وخطورة الحيوان وبعد ذلك تُوجّه نحو المرافق لنقلها عبر المراكب وتصديرها لروما وبعض الأقاليم الرومانية الأخرى (انظر الشكل 1)¹⁷.



الشكل (1): صيد الحيوانات المفترسة ونقلها عبر الأقفاص

Bertrand François op.cit, p 237

وخلال العصر الروماني صار الأمراء والأثرياء والأباطرة الرومان وحتى المغاربة كثيرا ما ينزلون شخصا إلى حلبات الملاعب المدرجة أو بإشراف

ورعاية منهم، أو يقصدون ضيعات ومساحات خاصة كانوا يمتلكونها بمنطقة المغرب القديم نذكر منها على سبيل المثال أملاك أسرة الفاليري VALERII قرب تاقاست (سوق أهراس) وأملاك سوماك SYMMAQUE بموريطانيا القيصرية التي يتم فيها الصيد بانتظام ويأخذ صفة الحملات العسكرية لما يتطلبه من تجهيزات وخدم تعكس سعة عيش هذه الطبقة من خلال لباسها ووسائلها مما يدل على العظمة المادية لمنظمتها ورفعة شأنهم ومدى تحديهم للأخطار الجسم التي تصاحب هذا النوع من النشاطات، ويعود السبب في شغف الأباطرة بمثل هذه الألعاب لكونها ترمز لقوتهم، فعندما يقضي الإمبراطور بنفسه أو عن طريق أحد أعوانه على الحيوانات المفترسة المستوردة من أقطار الإمبراطورية فذلك يعني أنه سيمتلك قوة أعدائه، وكذلك تشبهاً بالبطل الأسطوري هرقل مروّض الحيوانات المفترسة¹⁸.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أن نظم الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193-211 م) بمناسبة الذكرى العاشرة لاعتلائه العرش ألعاباً ضخمة، فقد صنع قفصاً على شكل سفينة بإمكانه احتواء 400 حيوان يمكن إطلاقها دفعة واحدة، ولما فتح باب القفص اندفعت منه الدببة واللبؤات والنمور والأسود والنعام والحمير الوحشية والثيران الوحشية، وسار على منواله ابنه كاليغولا (37-41 م) الذي كان يحب المصارعة وقتال الحيوانات المفترسة وقد نزل بنفسه لحلبات المصارعة 735 مرة كما يذكر ديون كاسيوس وقتل بمفرده خمسة أفراس نهر في مرة واحدة، كما قتل خلال في بعض العروض فيلين ووحيد القرن ورافة¹⁹.

واستمرت عملية صيد الحيوانات المفترسة طيلة العصر الروماني وحتى العصر الوندالي، ولم تكن روما فقط المستفيدة من تلك الألعاب بل حتى

بعض المدن الإفريقية كقرطاج وتيزدروس (الجم) بتونس وتاقاست (سوق أهراس) حيث كان يعيش القديس أوغسطين وشاهد معركة دبة²⁰.

والسؤال الذي يطرح هنا: من يتكلف بنقل وتصدير الحيوانات إلى الضفة الأخرى من المتوسط؟

بعد صيد الحيوانات المفترسة توضع داخل أقفاص خاصة لتوجه مباشرة إلى الموانئ الإفريقية القريبة كقرطاج وبونة ولبتيس ماغنا، ومنها تشحن داخل سفن وتراعى خلالها شروط سلامتها وتنقل خلال الأيام التي يكون فيها المناخ معتدلاً حتى لا تموت في الطريق لا سيما وأنها قد تستغرق يومين كاملين أو أكثر حتى تصل إلى أوستي Ostie ميناء روما القديم²¹.

وظهرت خلال العصر الإمبراطوري شركات خاصة لهذه النوعية من التجارة وكان لها أعوان بصفتي البحر المتوسط من طاقم السفينة وعمال يعتنون بصيانة الحيوانات وإطعامها على متن السفن، وهذا ما تؤكد فسيفساء أوستي، وقد اكتشفت بميناء هذا الأخير قرب المسرح ساحة كبيرة يحيط بها رواق وغرف صغيرة كانت تستعمل كمكاتب لعدة مؤسسات، منها تسع شركات إفريقية تمثل: هيبو دياريتوس (بنزرت) وقرطاج وسيدي داود²².

طرق الصيد

لقد اختلفت طرق صيد الحيوانات المفترسة باختلاف الأسباب التي دعت لذلك وحسب طبيعة المكان، فقد تمت هذه العمليات على الأقدام في حالات الدفاع عن النفس وعن محاصيلهم الزراعية باستعمال الحراب والرماح والسهام لقتلها والتخلص من مخاطرها، أو هم يمتطون صهوات خيولهم حسب الأسلوب الملكي الفارسي المعروف في صيد الضواري، وكذلك استخدام الشباك ووضع الفخاخ كالصناديق للحصول عليها حية للمتاجرة بها إذ كانت مطلوبة بكثرة لتمويل عروض الملاعب المدرجة سواء محلياً أو خارجياً بروما²³، فللغرض الأخير نرى على فسيفساء هيبون ريجيوس (عنابة) (انظر

الشكل 2) كيفية صيد الحيوانات المفترسة كالأسود والفهود مثلاً وهي حية لنقلها لروما حيث تصوّر لنا جنوداً وهم يمتطون صهوات خيولهم في الجبل ويطاردون ثلاثة فهود وأسد ولبؤة محصورين داخل سياج شبكة ويدفعونها نحو صناديق كبيرة بها نعاج أو ماعز لتستخدم كطعم يجذب إليه الحيوان المفترس للقفص، ونرى في الأسفل صياداً واقفاً وملتفتاً نحو اليمين ورجله اليمنى مثنية أما رجله اليسرى فممددة ويحمل في يده اليمنى حربتين وفي يده اليسرى ترساً مستدير الشكل وذو لون برتقالي ونرى صيادين آخرين راجلين يشكلون جداراً بتروسمهم الكبيرة ويخيفون تلك الحيوانات بمشاعلهم الكبيرة والملمهة ويدفعونها نحو شباك مخفية ما بين الأحراش، ويدل إشراف الجند على عمليات الصيد في فسيفساء بونة أن الحيوانات المقتنصة مخصصة للملاعب المدرجة²⁴.



الشكل(2): صيد الحيوانات المفترسة بفسيفساء هيبيون ريجيوس (عنابة)

Bertrand François, op.cit, p237

ومن أهم الوسائل التي استعان بها الإنسان في عمليات الصيد نذكر:

1- الكلاب: كان الكلب أول الحيوانات التي استعان بها الإنسان في صيد الطرائد كالأرانب والغزلان منذ العصر الحجري الوسيط، كما استعملت الكلاب في مساعدة الصيادين في صيد الأسود والخنازير، ومن أهم أنواعها كان الكلب السلوقي وهو كلب رشيق الجسم طويل القوائم دقيق الخطم طويل الذيل صغير الأذنين، يمتاز بسرعته الكبيرة²⁵، تعمّم استعماله مع نهاية العصر الحجري الحديث، وكثيرا ما برز على الفن الصخري ولوحات الفسيفساء²⁶، من أهم الألواح التي برز عليها نذكر: فسيفساء أودنا وتيزدروس (الجم) وألتبروس (المدينة بتونس) وقرطاج تيريومايوس (هنشير القصبات بتونس) وسيرتا (قسنطينة)²⁷.

2- الخيول: استعان الإنسان في صيد بعض الحيوانات كالأسود والخنازير والفهود وهو يمتطي حصانه على الطريقة الفارسية وهي طريقة معروفة لدى الهلنستيين، كما عرف في منطقة شمال أفريقيا من طرف السادة والنبلاء في الغابات والمسارح المدرجة، وهذا ما تشير إليه فسيفساء لبتييس ماغنا (لبدة)، ونشير هنا أن الفارس يتسلح بالرمح أو النبال ويكون حذرا خاصة إذا كان الحيوان المطارد مفترسا وتزداد ضراوته إذا أصيب²⁸. ومن أهم اللوحات التي برز عليها نذكر: فسيفساء هيبيون ريجيوس (عنابة) وأودنا (أوطينة بتونس) وكويكول (جميلة) وقرطاج (انظر الشكل3)²⁹.



الشكل (3): الصيد على متن الحصان (فسيفساء قرطاج)

Blanchrd-Lemée Mkchèle et autres, op.cit, p 181

3- الصيد بالشبكة: **La chasse au filet** هي من الوسائل التي استعملها الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ لصيد بعض الطرائد وحتى الحيوانات المفترسة كما يشير إلى ذلك بعض مشاهد النقوش الصخرية بالطاسيلي ناجر والأكاكوس، وبعض لوحات الفسيفساء حيث يقوم الصيادون بتوجيه الحيوانات المراد صيدها نحو الشباك وهم مسلحون بالهراوات ويستعينون بالكلاب وتكون الشبكة واسعة وأحياناً قصيرة وتخفى ما بين الأشجار وتنصب في شكل الحرف اللاتيني U ، ومازالت هذه الطريقة مستعملة لحد الآن لدى بعض الشعوب، وقد برزت على فسيفساء هيبون ريجيوس (عنابة) وواد العثمانية وقرطاج³⁰.

4- الفخاخ **fosses-pièges** : وتتمثل هذه الطريقة في إعداد حفر وتغطيتها بالأغصان ولما يقع فيها الحيوان المفترس توضع على رأسه غطاء

ويتم إدخاله إلى القفص، وهذا من أجل عرضه في المسارح المدرجة، وبما أن هذه الطريقة محفوفة بالمخاطر فيُكَلَّف بها جنود أو صيادين أكثر خبرة³¹.

أهم الحيوانات المفترسة المصطادة في شمال أفريقيا قديما:

أ- الأسود: من خلال اطلاعنا على عدد من ألواح الفسيفساء يتضح لنا أن بعضها قد جرى في الطبيعة وكان الغرض من صيدها إما القضاء عليها لخطرها أو من أجل صيدها واستعمالها في المسارح المدرجة من أجل الفرجة، أما بعض المشاهد تشير إلى أن الصيد قد جرى داخل الملاعب المدرجة وهذا بالتأكيد بغرض تسلية الجماهير.

فللغرض الأول (التصدير) تُصَوَّر فسيفساء صيد الأسود بقرطاج قفصا خشبيا كبيرا مدعما بقضبان حديدية مفتوحا به لوحة متحركة وموضوع أمامه جدي مربوط بحبل استخدم كطعم لاستدراج الأسد نحو القفص وعن بعد يختبئ صياد وهو ينتظر لسحب الحبل فينغلق القفص على الأسد، وقد استخدمت هذه الطريقة كثيرا للقبض على الحيوانات المفترسة، والغرض من الصيد هنا هو استعمالها في المسارح المدرجة من أجل الفرجة³².

وتصور لنا فسيفساء كويكول (جميلة) بعض مظاهر الحياة الريفية في المغرب القديم، منها فارس يصطاد خنزيرا بواسطة رمح، وبالقرب منه أيل هارب، وصياد يحمل في يده اليسرى أرنباً، وفي مشهد آخر بنفس الفسيفساء تتم عملية مصارعة أربعة أسود: اثنان يلتفتان نحو اليسار في وضعية تأهب، وأسد آخر يقفز باتجاه رجل مسلح برمح وساقه منحنية على مستوى الركبة، وأسد رابع تالف الرأس في الجهة العلوية على اليمين، وكذلك لبؤة ميتة برمح اخترق جسمها، ونرى كذلك نمرا يلتفت نحو الخلف، ويبدو أن هذه المشاهد قد تمت داخل حلبة الملعب المدرج بدليل وجود أسوار المدينة في الخلف،

والغرض من عمليات الصيد ومصارعة الحيوانات المفترس هنا تسلية الجماهير الحاضرة³³. (انظر الشكل 4).



الشكل (4): مصارعة حيوانات مفترسة بفسيفساء كويكول (جميلة)

Lassus Jean, op.cit, p201

أما في فسيفساء تيلابت (هنشير بلعيد بوسط غرب تونس) فقد جرت داخل مسرح مدرج حيث يبرز وسط الحلبة رجل يصارع أسدا هائجا وهو واقف على رجليه الخلفيتين ويغرس في جسمه رمحا والدم ينزف بغزارة على الأرض، وهذا يشير إلى جندي أو مصارع متخصص في مثل هذه الأعمال البطولية³⁴.

ب- الفهود: أما الفهود فقد مُثِّلَت بكثرة على مشاهد الفسيفساء الإفريقية ويبدو أن اصطيادها كان أكثر من الأسود من أجل أن تعرض في المسارح المدرجة في روما، وهذا ما تشير إليه بعض الإحصائيات، إذ قدّم بومبي 410 فهدا وقدّم يوليوس قيصر (101-44 ق.م) سنة 64 ق.م بأحد المسارح المدرجة الكثير من الحيوانات من بينها 600 فهد، أما بروبوس (276-282م) فقد قدّم في أحد العروض مائة فهد، أما أغسطس (30ق.م-14م) فقد عرض 420 فهدا، ونستنتج من هذه الأرقام مدى ثراء منطقة شمال أفريقيا قديما بالحيوانات المفترسة وعلى مدى إقبال الرومان على الحصول عليها سواء عن طريق استيرادها، أو الحصول عليها كهدية من الملوك النوميديين والموريطنيين، أو صيدها بواسطة فرق عسكرية رومانية خاصة بذلك، ولهذا فقد جُسِّدَت الفهود كثيرا على الفسيفساء الإفريقية منها على فسيفساء كل من قرطاج وأودنا (أوطينة) وتيزدروس (الجم) وسميرات (قرب سوسة)، وحضوره يؤكد أنه كان عنصرا مميزا في الألعاب المدرجة³⁵ خاصة أنه يقدم له الأشخاص المحكوم عليهم بالإعدام وهذا ما نراه على بفسيفساء تيزدروس (الجم) بتونس وفسيفساء زليت (شرق مدينة لبدة) بليبيا (انظر الشكل 5)، حيث نشاهد في هذه الأخيرة شخصين مقيدتين من الخلف بعمود على عربة صغيرة ذات عجلتين ويبدو من سحنتهما الداكنة أنهما من قبائل الغرامنت جنوب ليبيا عقابا لهم بعد هجومهم على مركز الفيلق الأغسطي الثالث سنة 70 بعد الميلاد بلبدة الكبرى، كما كان يُرمى بالمسيحيين للحيوانات الضارية بالمسارح المدرجة وسط صيحات الجماهير الحاضرة مثلما فعل عدة أباطرة كجيتا (211م) بمناسبة ذكرى اعتلائه العرش حيث تم تقديم خمسة أسرى مسيحيين بالملعب المدرج بقرطاج، وقد استهجن رجال الدين المسيحيين كترولتيان Tertullien هذه المشاهد الدموية.³⁶

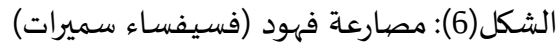


الشكل (5): تقديم محكوم عليه بالإعدام للحيوانات المفترسة بفسيفساء

زليتن

Ben Mansour Seyda et autres, op.cit, p23

وتُصوّر لنا فسيفساء أودنا ثلاثة صيادين على صهوات خيولهم ومسلحين بالحراّب ويحيطون بفهد مجروح بنبل على جنبه الأيسر وواحد من بينهم مسلح برمح، وربما أراد الفنان من هذا المشهد أن يبين لنا قتل الفهود التي كانت تفترس المواشي³⁷، ونرى من خلال فسيفساء سميرات أربعة مصارعين يقاتلون أربعة فهود حيث تجري المصارعة تحت رعاية الإلهين الرومانيين: ديانا إلهة الصيد وديونيسوس إله الخمر ونرى الدم ينزف من بعضها. (انظر الشكل 6)³⁸.



ج- الدببة: كما كان الدب من بين الحيوانات التي تجلبها روما من منطقة شمال أفريقيا لتزويد المسارح المدرجة منذ القرن الثاني ق.م فقد أدخل القنصل الروماني P. Cornelius Scipion سنة 169 ق.م بفضل علاقته الوطيدة مع الملوك النوميديين كماسينيسا (203-148 ق.م) وابنه ماسيبسا (148-118 ق.م) عدة حيوانات من منطقة المغرب القديم لعرضها في المسارح المدرجة من بينها أربعين دبا، أما الايديل Domitius Ahenobarbus فقد

قدّم في أحد العروض سنة 61 ق.م مئة دب نوميدي رفقة صياديها الأثيوبيين³⁹، ويذكر المؤرخ الروماني ديون كاسيوس أن الأمبرطور سبتيموس سيفيروس (193-211 م) نظّم ألعاباً كبيرة بمناسبة اعتلائه العرش قُتلت فيه الكثير من الحيوانات من بينها الدببة⁴⁰، كما أشار إليه القديس أغسطين (354-430م) بأنه من بين الحيوانات المعروضة في ألعاب مدينته تقاست (سوق أهراس) التي كانت غاباتها غنية بالدببة النوميديّة⁴¹.

وقد كان الدب من أكثر الحيوانات تمثيلاً على مشاهد الفسيفساء الإفريقية المرتبطة بالمسارح المدرجة حيث ظهرت من خلالها الدببة كحيوانات مدجّنة تقوم بالأعمال الهلوانية أو في صراع عنيف ضد حيوانات أخرى أو ضد مصارعين، مثلما نرى ذلك على فسيفساء كوربة قرب مدينة سوسة (انظر الشكل 7)⁴²، ونشاهد أيضاً في فسيفساء تبريومايوس (هنشير القصبات) بتونس صورة دب وهو يقفز في الأولى نحو اليسار محاطاً بأشرطة ملونة ويقف في الثانية على قائمته الخلفيتين كأنه يجابه حيواناً آخر ويستعد لمهاجمة مصارع⁴³، غير أنه نادراً ما صوّر وهو يُصطاد داخل وسطه الطبيعي، ومن المشاهد الأخيرة نرى بفسيفساء خنقة الحجاج معروضة بمتحف باردو بتونس دبين اثنين بوسط مشجر واحد يمشي والآخر يعدو واحد الصيادين مسلح بحربة وصياد آخر يرمي بأحبولة ليمسك بأحد الدبين⁴⁴.



الشكل (7): دبة متصارعة بفسيفساء كورية

بلكامل بضافية، المرجع، 502

خاتمة.

يتضح لنا بعد دراسة بعض لوحات الفسيفساء بمنطقة المغرب القديم، أن صيد الحيوانات المفترسة بعد أن كان نشاطا فرديا الهدف منه قتلها والقضاء عليها لتعرضها لحياة السكان وحيواناته الأليفة، صار الصيد بمرور الزمن لاسيما خلال العهد الروماني الهدف منه هو التسلية والترفيه عن النفس وإبراز الشجاعة والقوة التي لم تقتصر على الأثرياء والنبلاء بل تعداه للحكام خصوصا داخل حلبات الملاعب المدرجة في داخل المدن الإفريقية (قرطاج، زليتن، سوسة، جميلة، شرشال...) وكذلك في المدن الإيطالية، لهذا كانت الحيوانات المفترسة من أهم الشحنات التي تصدرها منطقة المغرب القديم للرومان والتي أشرف على رعايتها الأباطرة الرومان بأنفسهم في بعض

المناسبات كالاحتفالات بانتصاراتهم وتوليهم الحكم وهذا ما تؤكد له لنا فسيفساء بيازا ارمرينا وفسيفساء التبيروس Althiburos (المدينة) بتونس، ونشير في الأخير أنه نتيجة للصيد المكثف للحيوانات البرية بشكل عام والمفترة بشكل خاص طيلة قرون فقد ساهم في تناقص وحيش أفريقيا الشمالية إلى أن انقرضت نهائيا.

الحواشي:

- 1- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001، ص361. ديون كاسيوس، التاريخ الروماني، الجزء العاشر، ترجمة: مصطفى غطيس، كلية الآداب، تطوان، 2013، ص ص105_106.
- Plin l'Ancien, histoire naturelle, éditions et choix d'Hubert Zehnacker, collection folio classique, Gallimard, paris, 1999, p113, Strabon, Géographie, éditions traduit par Tardieu Amédée, Paris, 1880, L. Hachette, XVII, 4, 5, 7.
- 2_ ويبدو أن الأسود قد تواجدت بكثرة في المنطقة خلال العصر الحديث حسب الحسن الوزان ويذكر أنها كانت لا تفترس الحيوانات فحسب بل حتى الإنسان، فكثيرا ما تجرؤ في بعض الأماكن على مهاجمة مائتي فارس وتقتل منهم خمسة أو ستة رجال، وهو شخصا نجا منها مرتين كما يذكر ذلك، للمزيد انظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ص265.
- 3- Paul Corbier, Marc Griesheimer, L'Afrique romaine 146 av. J.-C.- 439 ap. J.-C , Ellipses, Paris, 2005, p 81.
- 4- يذكر بلين الكبير أنه خلال الحرب البونية الثانية عندما حاصر الرومان بعض مدن شمال إفريقيا، قام القائد الروماني سيبيون بقتل أسود وصلبها عند مدخل المدينة حتى تخشى بقية الأسود من نفس المصير ولا تقترب منهم، وربما يريد سيبيون بتصرفه هذا أن يبعث للقرطاجيين رسالة مفادها شجاعة وصلابة الجيش الروماني، انظر: Plin l'Ancien, op.cit, p 113.
- 5 - ساليست، الحرب اليوغرطية، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، بنغازي، 2008، ص31.
- 6- استيفان قزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص109.
- 7_ - ف. فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر: فاروق إسماعيل، دار المدى، دمشق، 2003، ص101.

- 8_ ساليست، المصدر السابق، ص16.
- 9_ محمد حسين فنطر، التربية والثقافة في قرطاج، ط1، كتاب الحرية، تونس، 2008، ص121.
- 10- François Bertrandy, Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie, Mélanges de l'Ecole française de Rome, Antiquité, Année 1987, Volume 99, n 1, p p 212-213.
- Elizabeth Deniaux, L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque républicaine et les relations de clientèle, L'Africa romana, Atti del convegno di studio, Djerba, 10-13 dicembre 1998, Volume secondo, p 1300- 1303.
- 11- Paul Corbier, Marc Griesheimer, op.cit , pp228-229.
- 12- Elizabeth Deniaux, op.cit,p 1301.
- 13- Paul Corbier, Marc Griesheimer, op.cit , pp228-229.
- 14- Charles Gilbert Picard, La civilisation romaine L'Afrique romaine, Plon, paris, 1959, p 258.
- 15- G. Camps, « Africanae », », in 2 | Ad – Agh-n-Tahlé, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 2) , 1985
- 16- Thouvenot Rymond, les lions de Caracalla, in revue des études anciennes, tome52, 1950, , n°3-4, p278.
- 17- François Bertrandy, op.cit, pp220-222.
- 18_ البضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، الكتاب الأول، ط 1، مطبعة فيديبرانت، الرباط، 203، ص ص225-235.
- 19- ديون كاسيوس، المصدر السابق، ص ص 105-106.
- 20- Thouvenot Rymond, les lions de Caracalla, in revue des études anciennes, tome52, 1950 ,n°3-4, p278.
- 21- François Bertrandy, op.cit, pp227-229.
- 22_ المنجي النيفر.. الفسيفساء التونسية من خلال الفسيفساء، الشركات التونسية للتوزيع، تونس 1969، ص46.
- 23_ تغريد علي شعبان، الحيوانات الوحشية من خلال الفسيفساء الإفريقية الرومانية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، 2001، ص196.
- 24- Naima ABDELOUAHAB, la capture des fauves sur une mosaïque d'Hippone, (identités et culture dans l'Algérie antique), publications des universités de Rouen et du Havre 2005, pp206-207.
- 25_ تغريد علي شعبان، المرجع السابق، ص226.

- 26 -Thérèse PRECHEUR-CANONGE, la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques, presses universitaires de France, Paris, p72.
- 27_ البضاوية بالكامل، المرجع السابق، ص ص231_236.
- 28- Aymard Jacques, Essai sur les Chasses romaines des origines à la fin du siècle des Antonins (Cynegetica), éditions Bocard, Paris, 1951, pp406-407.
- 29- Thérèse PRECHEUR-CANONGE, op.cit , pp89-90.
- 30- Le Quellec Jean-Laïc et autres (2010). « La chasse au filet sur les peintures rupestres du Sahara central et dans l'Antiquité», Cahiers de l'AARS , N° 14, pp255-258.
- 31- Aymard Jacques, op.cit, p406.
- 32- Mahjoubi Amar, Découverte d'une nouvelle mosaïque de chasse a Carthage, Comptes-rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belle-lettres, Année 1967, Volume 111, n°2 , p 264-267.
- 33- Lassus Jean. La salle à sept absides de Djemila-Cuicul. In: Antiquités africaines, 5,1971. P202.
- 34- Seyda Ben Mansour et autres, la Mosaïque en Tunisie, éditions de Méditerranée Tunis 2009, p 160.
- 35- Yacoub Mohamed ,pièces maitresses des musées de Tunisie, éditions carthacom, Tunis,1994, p238.
- 36- Mahjoubi Amar, villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, centre de publication universitaire, Tunis. 2000, pp161-162.
- 37- Thérèse PRECHEUR-CANONGE, op.cit , p90.
- 38- Yacoub Mohamed, op.cit, p253.
- 39- Elizabeth Deniaux, op.cit, pp 1300-1303.
- 40_ ديون كاسيوس ، المصدر السابق، ص106.
- 41- Gabriel.la faune de l'Afrique du nord et Sahara d'apres Hérodote, Espacio, Tiempo y Forma, Serie2, H, Antigua, t. I, 1988, , p210.
- 42_ البضاوية بالكامل، المرجع السابق، ص179.
- 43- تغريد علي شعبان، المرجع السابق، ص205.
- 44- Thérèse PRECHEUR-CANONGE, op.cit , p84.

قائمة المصادر والمراجع:

- استيفان قزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، ج 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.

- استيفان قزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، ج 1، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.
- البضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، الكتاب الأول، ط1، مطبعة فيديبرانت، الرباط، 2003.
- تغريد علي شعبان، الحيوانات الوحشية من خلال الفسيفساء الإفريقية الرومانية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى: تونس، 2001.
- الحسن الوزان، وصف إفريقيا. تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- ديون كاسيوس، التاريخ الروماني. الجزء العاشر، ترجمة: مصطفى غطيس، كلية الآداب، تطوان، 2013.
- ساليست غايوس كريسبوس، الحرب اليوغرطية. تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، بنغازي، 2008.
- فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم. تر: فاروق إسماعيل، دار المدى، دمشق، 2003.
- محمد حسين فنطر، التربية والثقافة في قرطاج، ط1، كتاب الحرية، تونس، 2008.
- المنجي النيفر، الفسيفساء التونسية من خلال الفسيفساء، الشركات التونسية للتوزيع، تونس، 1969.
- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، الكتاب الخامس، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجعة: أحمد السقاف وحمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2001.
- Abdelouahab Naima , « la capture des fauves sur une mosaïque d'Hippone» , (identités et culture dans l'Algérie antique), publications des universités de Rouen et du Havre. 2005, pp 305-319.
- Aymard Jacques, Essai sur les Chasses romaines des origines à la fin du siècle des Antonins (Cynegetica), éditions Bocard, 1951, Paris.
- Ben Mansour Seyda, et autres, la Mosaïque en Tunisie, éditions de Méditerranée, Tunis. 2009.
- Bertrand François, «Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du Nord et l'Italie», Mélanges de l'Ecole française de Rome, Antiquité, , Volume 99, n 1. 1987, pp211-241.

- Blanchard-Lemée Michèle et autres, sols de la Tunisie romaine, éditions Cérès, 1998, Tunis.
- Camps Gabriel « Africanae », in E.B, volume 2, Aix-en-Provence, Edisud, 1985, Pp217-222.
- Camps Gabriel. «la faune de l'Afrique du nord et Sahara d'après Hérodote», Espacio, Tiempo y Forma, Serie2, H, Antigua, t. I. 1988, pp 209-220.
- Deniaux Elizabeth, « L'importation d'animaux d'Afrique à l'époque républicaine et les relations de clientèle », L'Africa romana, Atti del convegno di studio, Djerba, 10-13, Volume secondo, 1998, p 1300-1303.
- Guey Julien, « Les éléphants de Caracalla (216 après J.-C.) ». In: Revue des Études Anciennes. Tome 49, n°3-4, 1947, pp. 248-273.
- Lassus Jean, «La salle à sept absides de Djemila-Cuicul». In: Antiquités africaines, 5. 1971, Pp193-207
- Le Quellec Jean-Laïc et autres, « La chasse au filet sur les peintures rupestres du Sahara central et dans l'Antiquité», Cahiers de l'AARS , N° 14, 2010, pp255-258.
- Mahjoubi Amar, «Découverte d'une nouvelle mosaïque de chasse à Carthage», Comptes-rendus des séances de l'Académie des inscriptions et belles-lettres, Volume 111, n°2. 1967, Pp264-278.
- Mahjoubi Amar, villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, centre de publication universitaire, Tunis, 2000.
- Paul Corbier, Marc Griesheimer, L'Afrique romaine 146 av. J.-C.-439 ap. J.-C. Ellipses, Paris. 2005.
- Picard Charles Gilbert ,La civilisation romaine de L'Afrique romaine, Plon, paris, 1959.
- Plin l'Ancien, histoire naturelle, éditions et choix d'Hubert Zehnacker, collection folio classique, Gallimard, paris , 1999.
- Précheur-Canonge Thérèse, la vie rurale en Afrique romaine d'Après les Mosaïques, presses universitaires de France, Paris, 1962.
- Strabon, Géographie, éditions traduit par Tardieu Amédée, Paris , L. Hachette, 1880.
- Thouvenot Rymond , «les lions de Caracalla», in revue des études anciennes, tome52, n°3-4, 1950, pp278-287.
- Yacoub Mohamed, pièces maitresses des musées de Tunisie, éditions carthacom, Tunis, 1994.